المنهج العقلي في التفسير

١-العقل في اللغة والقرآن

٢-مفهوم المنهج العقلي في التفسير

٣-نبذة تاريخية عن المنهج العقلي

قال ابن فارس "(عقل) الحبس وهو الحابس عن ذميم القول والفعل، أو "المنع" لأنه يمنع صاحبه من الوقوع في القبيح. وبهذا فإن مفهوم العقل في القرآن يأخذ مناحي متعددة، مجملها تشير إلى أنه أداة العلم والمعرفة، والتمييز بين الأشياء، والحبس والحجر عن الوقوع في المهالك والمضار. وهناك من قال إنه يطلق على: يقال للقوّة المتهيّئة لقبول العلم وكذلك يقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقلاً.

وقد أكدت الشريعة على العقل فجعلته مناط التكليف بالعبادات والمعاملات وجاء ذكر العقل في القرآن بصورة متكررة بصيغة الفعل المضارع وحث على التدبر في آياته كما في قوله تعالى:" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" وقال أيضاً: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آَيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ" وقال في سورة ثالثة: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"

فالتدبر هو النظر في عواقب الأمور وهذه الآيات كما يقول الطوسي تدل على فساد مذهب من زعم أن القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول له لأنه حث على تدبره ليعملوا به.

مفهوم المنهج العقلي في التفسير

التفسير العقلي والاجتهادي

ينبغي هنا أن نفرق بين ثلاثة مصطلحات: المنهج الاجتهادي والعقلي والتفسير بالرأي. قد يطلق التفسير العقلي ويراد به التفسير الاجتهادي، أي بذل الجهد في تفهم معنى النص القرآني والكشف عن مرامي الالفاظ فهو اجتهاد في دائر ة النص وفي حدود الاصول اللغوية والشرعية. فالتفسير الاجتهادي لا يعتمد على الرواية فقط بل يعتمد على النظر والتدبر. وفي هذه الحالة يكون

التفسير الاجتهادي مقابل التفسير النقلي لان الثاني يعتمد النقل فقط، اما هنا اما الاول فيعتمد على النظر والتدبر في الآيات والروايات والجمع بينهما ورفع التعارض إن وجد واستخراج الحكم والمواعظ والدروس من الآيات القرآنية كلها في حدود الشرع.

والمعنى الثاني للتفسير العقلي هو الاستفادة من القرائن العقلية القطعية الواضحة التي يتفق عليها جميع العقلاء لتأويل وفهم النص. وفي هذه الحالة يتم استخدام العقل كمصدر تؤول على ضوئه ظواهر القران على ضوء الأدلة العقلية القطعية ومثال ذلك جميع ظواهر القرآن التي تدل على أن الله جسم له يد وعين وساق والعرش والكرسي و... فعلى سبيل المثال قوله تعالى:" يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" ظاهر الآية تدل على الجسمية والتشبيه لكن العقل يقول: ان المقصود من اليد هنا ليست الجارحة التي تحتوي على خمسة أصابع، لان الله سبحانه وتعالى ليس بجسم، اذ ان كل جسم محدود وفانٍ، والله ليس محدوداً ولا يفنى وانما هو ازلي أبدى. فالمقصود من ذلك هو قدرة الله سبحانه التي فوق قدرة الجميع. فاطلاق "اليد" على القدرة إطلاق مجازي، لان قدرة الانسان عادة ما تكون في اليد وعن طريق اليد وهكذا جميع الآيات الأخرى يمكن تأويلها على ضوء القرينة العقلية القطعية.

التفسير العقلي والتفسير بالرأي

أما بالنسبة لاختلاف التفسير العقلي عن التفسير بالرأي، فالثاني المقصود به تفسير القرآن بالهوى وتحميل الرأي والعقيدة الشخصية على القرآن، أي أن يجعل المفسر رأيه هو الأصل ويحاول تطبيق آيات القرآن عليه وقد وردت الروايات في تحريم هذه الطريقة في التفسير وذمها. لكن رغم ذلك فهناك من قسم الرأي الى قسمين: ممدوح ومذموم. فالأول هو: التفسير العقلي الاجتهادي نفسه. والثاني هو التفسير بالرأي الذي وردت الروايات في تحريمه. قال الذهبي: " والمراد بالراي هو الاجتهاد وعليه فالتفسير بالراي عبارة عن تفسير القران بالاجتهاد". وكتب الشيخ "خالد عبد الرحمن العك" فقال: "التفسير العقلي هو ما يقابل التفسير النقلي وهو يعتمد على الفهم

العميق والمركز لمعاني الالفاظ القرآنية اتي تنتظم في سلكها تلك الالفاظ وفهم دلالاتها وللعلماء تسمية للتفسير العقلي هي التفسير بالراي" أي أن الاختلاف هنا لفظي.

نبذة تاريخية عن التفسير العقلي

بدأ هذا النوع من التفسير مبكراً حيث نجد له بعض الشواهد عند الصحابة والتابعين ومن الأمثلة المذكورة في هذا الشأن ما ورد في تفسير قوله تعالى: " أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ" فقد ورد في تفسيرها عن عكرمة الذي هو أحد تلاميذ ابن عباس قال: "كانتا رتقا لا يخرج منهما شيء، ففتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات. ثم حاول أن يجد لهذا التفسير شاهداً من القرآن فقال: "وهو قوله وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ". وقد رجح الطبري هذا التفسير فقال: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا من المطر والنبات، ففتقنا السماء بالغيث والأرض بالنبات. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) على ذلك، وأنه جلّ ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه". وهناك شاهد آخر من تفسير مجاهد الذي عرف بالتفسير بمنهجه العقلي في التفسير في تأويل قوله تعالى: وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ قال: مسخت قلوبهم، ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله لهم كمثل الحمار يحمل أسفارا.

•